مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة

أ.د/ الربعي بن سلامة

كلية الآداب واللغات . قسنطينة

الملخص

يدخل هذا الموضوع ضمن موضوعات المحور الثالث الخاص بمكانة اللغة العربية بين اللغات العالمية، لأنه يتناول قضية وجودية بالنسبة للغة العربية واللغات التي تماثلها، أو ما يعرف بلغات الدرجة الثانية، على اعتبار أن اللغة الإنكليزية هي اللغة العالمية الأولى.

وإذا كانت أولوية اللغة الإنكليزية من المسلمات التي لا تقبل الجدل في أيامنا فإن نظرة الدارسين لمستقبل لغات الدرجة الثانية، ومنها اللغة العربية، تتأرجح بين التشاؤم المفرط والتفاؤل المفرط؛ بحيث يرى البعض أن لغات الدرجة الثانية محكوم عليها بالعدم في المستقبل القريب، ويرى المتفائلون أنها ستقاوم للحفاظ على وجودها وأنها ستنجح في ذلك لأنه ليس من صالح الإنسانية أن تترك تلك اللغات وما تحمله من ثقافات للضياع.

وسنحاول في هذه المداخلة أن نلم بأبرز عناصر هذا الموضوع الهام، وذلك من خلال الإجابة على عدد من الأسئلة التي نظنها ضرورية للإحاطة بجوانبه، ومنها:

1) ما هو مفهوم العولمة وما علاقته باللغة؟

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

2) ما هي مبررات المتشائمين بمستقبل اللغة العربية، وإلى أي مدى يمكن قبولها؟

3) ما هي مبررات المتفائلين بمستقبل اللغة العربية؟

4) كيف يمكن الاستفادة من كل ذلك لضمان مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة؟

أولا: ما هي العولمة و ما علاقتها باللغة؟

كثر الحديث عن العولمة في المدة الأخيرة، خاصة بعد نهاية الحرب الباردة وسقوط جدار برلين سنة 1989م وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفرد الولايات المتحدة بقيادة العالم، ولا أذكر أني عثرت فيما قرأته . خلال فترة التكوين الثانوي والجامعي على كلمة (العولمة) التي شاعت وكثر استخدامها في هذه الأيام، وكنت آمل أن أعثر عليها وعلى تعريفها في المعاجم القديمة، ولكنني فوجئت . بعد أن استشرت لسان العرب والمعجم الوسيط وغيرهما . بانعدام صيغة (عولمة) في مادة (علم).

وإذا كان من الصعب أن نعرف متى ظهرت صيغة (فوعلة) من (علم) فإن الذي لا أشك فيه هو أنها صيغة حديثة، ويمكن أن تكون ترجمة لعبارة(**Mondialisation**)الفرنسية أو(**Globalisation)** وهي صيغة مستخدمة في الفرنسية أيضا ولكنها أكثر استخداما في اللغة الإنكليزية. ويبدو أن ترجمة عبارة (**Mondialisation**) بـ"العولمة" أكثر توفيقا وأقرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلى روح العربية من عبارة (**Globalisation**) التي يمكن أن تترجم بعبارة "الكوكبة" لما في الكوكبة من لبس قد يعني في العربية شيئا آخر.

ومفهوم هذه الصيغة، وإن كان ينصرف في أذهان الكثيرين إلى الميادين الاقتصادية والمالية، أوسع من ذلك بكثير لأنه يعني: محاولة إخضاع العالم، أو خضوعه التلقائي، لمنظومة موحدة من القيم المدنية والثقافية [1].

وحيث أن منظومة القيم المادية أصبحت تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية، فإن البعض يرى أن كلمة (العولمة) ما هي . في الواقع . إلا تعبير مهذب عن (الأمركة)، لأن العالم مقبل على عصر أمريكي تسود فيه المدنية الأمريكية وقيمها الثقافية ومعها تسود اللغة الإنكليزية باعتبارها لغة أقوى مدنية عرفها تاريخ الإنسانية، وذلك لأن القيم المعنوية عادة ما تتأثر بالقيم المادية وتتبعها؛ فنحن "حينما نتقبل أو نرغم على تقبل منتجات التكنولوجية ووسائل اتصالاتها، من حيث هي وسائل مادية تمكننا من مسايرة شعوب العالم المتطور وتقربنا منها، نجد أنفسنا مضطرين . شئنا أم أبينا . لابتلاع ما يصاحبها من تأثيرات ثقافية وإن كانت غريبة عن ثقافتنا أحيانا، وتأتي اللغة على رأس تلك القيم، لأنها الوعاء والحامل الذي لا يتصور وجود أي من تلك القيم بدونه. "[2]

وإذا كانت اللغة هي الوعاء الذي لا تستغني عنه القيم المادية والمعنوية فإن موقعها في العولمة لا يعدو أن يكون انعكاسا لعلاقة أهلها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالعالم، فلو تصورنا العالم . كما يقول مالك بن نبي . [3] عمارة كبيرة متعددة الطوابق وافترضنا أن شعوب العالم هم السكان المقيمون في أدوار تلك العمارة، بحيث يشغل كل شعب دورا، وأن كل شعب يؤدي لسكانها خدمة معينة، كأن نفترض أن دورا معينا يؤدي سكانه خدمات النظافة والمجاري، وسكان دور آخر يؤدون خدمات التصدير والاستيراد، وسكان دور ثالث يؤدون خدمات التعليم، وسكان دور رابع يؤدون خدمات الصحة.... إلخ، فإننا نستطيع أن نتصور بسهولة اللغة التي يتكلم بها سكان كل طابق، كما نستطيع أن نتصور المصطلحات الشائعة أو المتداولة فيها، ولا يصعب علينا أن نتصور بعد ذلك أن كل لغة تستمد قيمتها ومكانتها من نوعية الخدمة التي تؤديها لسكان العمارة، وأن الطابق الذي يؤدي أكبر الخدمات وأوسعها هو الطابق الذي ستسود لغته، ومعها تزداد هيمنته على سكان العمارة، كما أن الطابق الذي لا يؤدي أي خدمة لسكان العمارة يستغني الناس عن لغته؛ التي يتقلص مجال استخدامها في المكان ليقتصر على سكان ذلك الطابق، وقد يتقلص وينكمش مع الزمان فيستغني عنها حتى أهلها؛ الذين سيضطرون إلى استخدام لغة أو لغات الطوابق التي تقدم لهم الخدمات الضرورية.

وبهذا المفهوم سادت لغات العالم قديما، ومنها اللغة العربية التي هيمنت . خلال العصر الوسيط . على جميع لغات العالم القديم من مشرقه إلى مغربه؛ لأن العالم الذي كان معروفا لدى القدماء آنذاك هو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الذي يحده بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) غربا، وتحده أندونيسيا والفلبين شرقا، وقد أوردت المصادر أن اللغة العربية كانت معروفة من أقصى الغرب إلى أقصى الشرق.

أما عن الشرق فقد أورد ابن بطوطة في رحلته، أنه حينما كان في أقصى شرق العالم القديم المعروف آنذاك، ونزل بإحدى جزر (أرخبيل السولو) الواقعة بين الفلبين وأندونيسيا، وجد أهلها على غير دين الإسلام فامتنع عن مجالستهم ومؤاكلتهم إلى أن استدعته ملكتهم (أَرْدُجَا) ولما حضر مجلسها ورحبت به قال: "وأجلستني على قرب منها، وكانت تحسن الكتاب العربي [فتناولت دواة وقلما وكتبت له بخط عربي] " بسم الله الرحمن الرحيم " [4] ثم حدثته في أمور أخرى. ولو كان القوم مسلمين لقلنا إن العربية انتشرت بينهم بسبب الإسلام، ولكنهم لم يكونوا كذلك كما أكد ابن بطوطة، ومع ذلك انتشرت العربية وأصبحت معروفة لديهم، ولم تكن معرفتهم بها على سبيل الإلمام، وإنما كانت حسنة كما قال ابن بطوطة " وكانت تحسن الكتاب العربي " وهم، دون شك، لم يتعلموها إلا لأنهم كانوا بحاجة إليها.

وأما عن أقصى الغرب فالعالم كله يعرف شكوى القس ألفارو القرطبي التي أطلقها متحسرا على ضياع اللغة اللاتينية، ليس بين الإسبان المسلمين فقط وإنما بين النصارى أيضا، حيث يقول: " ... يا للحسرة إن الموهوبين من شبان النصارى لا يعرفون اليوم إلا لغة العرب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وآدابها، ويؤمنون بها ويقبلون عليها في نهم، وهم ينفقون أموالا طائلة في جمع كتبها... يا للألم لقد أنسي النصارى حتى لغتهم، فلا تكاد تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع أن يكتب إلى صاحب له كتابا سليما من الخطأ. فأما عن الكتابة في لغة العرب فإنك واجد فيهم عددا عظيما يجيدونها في أسلوب منمق، بل هم ينظمون من الشعر العربي ما يفوق شعر العرب أنفسهم فنا وجمالا..."(5).

وقد أورد الأمير شكيب أرسلان عن ليفي بروفنسال وآنخل غونثالث بالنثيا أن نصارى طليطلة ظلوا يكتبون معاملاتهم وينظمون حياتهم ويقيمون طقوسهم في الكنائس ويكتبون شواهد قبورهم باللغة العربية في طليطلة وما جاورها، حتى بعد أن رحل عنهم العرب بقرون طويلة. ومن ذلك على سبيل المثال هذا العقد الذي حرر سنة 1237، ومنه:

" باعت الأبطيشة الجليلة دونة شنجة التي على دير شنت باترو بالحزام أكرمها الله مع كونباتها الكائن أسماهم في هذا الكتاب، من دون مرتين بن باطروه دقشطره، جميع الميشون الذي علم في أصله للدير المذكور بربض الإفرنج التي على مقربة العشابين وبداخل مدينة طليطلة حرسها الله...[إلى أن يقول:] في العشر الأول من شهر فبرير سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف لتاريخ الصفر ".(6)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإذا كان القس ألفارو قد أطلق شكواه من اكتساح اللغة العربية لإسبانيا قبل منتصف القرن الثالث الهجري (القرن التاسع الميلادي) وأن استعمالها بين أهل طليطلة قد امتد . كما أورد أرسلان إلى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي تقريبا فإن ذلك يعني أن سيادة اللغة العربية في العالم الغربي قد امتدت إلى ما لا يقل عن أربعة قرون.

أما عمَّا تركته اللغة العربية من أثر في اللغات الأوروبية فهو أكثر من أن يذكر به، وقد أوردت الباحثة زغريد هونكه في كتابها (شمس العرب تشرق على الغرب) ما يثبت ذلك بوضوح تام، وهي أكثر وضوحا في الفصل الأول المعنون بـ " أسماء عربية لحاجات غربية " (7).

وإذا كانت اللغة العربية قد استفادت من اللغات السابقة قبل أن تسود لغات العالم القديم فيما يشبه العولمة فإنها لم تتسبب في اندثار أيٍّ من تلك اللغات، بل أثرتها كلها بالكثير من المفاهيم والمصطلحات والمسميات التي أهلتها لتسلم مشعل الحضارة والسير به قدما، فهل ستسمح العولمة المعاصرة للغات الدرجة الثانية . ومنها العربية . بالاستفادة من اللغة الإنكليزية دون أن تندثر أو تنسحب؟

يختلف الدارسون في الإجابة عن هذا السؤال ويتأرجحون بين التفاؤل والتشاؤم ولكل فريق مبرراته.

ثانيا: مبررات المتشائمين بمستقبل لغات الدرجة الثانية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذهب من يغلبون النظرة إلى الأمور من زاوية اقتصادية/تكنولوجية إلى أن اللغات التي ليس لها حضور اقتصادي مصيرها إلى الاضمحلال والزوال، لأن سوق اللغات لن تستقبل إلا تلك اللغات التي استطاعت أو تستطيع أن تتحول إلى سلعة يحتاج إليها الناس، ومن هذا الفريق المفكر الفرنسي (فرانسوا ليوطار) الذي يرى: " أن العلوم والتكنولوجيات الرائدة أصبحت خلال الأربعين سنة الأخيرة تهتم أكثر فأكثر باللغة: النظريات اللسانية، قضايا التواصل، السيبارنتيك، ومشاكل الترجمة وتخزين المعلومات، بنوك المعلومات. "[8]

وفي ظل هذه المعطيات " يذهب ليوطار إلى أنه سيتم التخلي عن كل ما لا يمكن ترجمته إلى كمية من المعلومات من جسم المعرفة الموجودة، وأن وجهة البحوث الجديدة ستتوقف على إمكانية ترجمة نتائجها إلى لغة الكومبيوتر. كما أن المبدأ القديم الذي يربط تحصيل المعرفة بتدريب العقول... بات غير مجد، لأن المعرفة لم تعد غاية في ذاتها، بل أصبح الهدف من ورائها "سلعنتها" أي تحويلها إلى بضاعة للتسويق."[9]

وفي عصر ما بعد الحداثة ستكون المعرفة المعلوماتية " أهم عنصر في التنافس العالمي من أجل السلطة، ومن الممكن أن نتصور نشوب الحروب بين الدول من أجل السيطرة على المعلومات، كما نشبت في الماضي من أجل السيطرة على الأراضي "[10].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعلومات التي تقوم من أجلها الحروب بين الدول في عصر ما بعد الحداثة هي تلك المعلومات المعلوماتية (المحوسبة)، وذلك لأن من يمتلك تلك المعلومات يكون قادرا، دون غيره على إصدار القرارات الصحيحة في الزمان المناسب والمكان المناسب، وبذلك فهو وحده الذي يملك سلطة إصدار القرار وإصدار الأوامر للآخرين، وكل هذا يتم عبر اللغة (المحوسبة) لأن:" المعرفة في نظر ليوطار قضية كفاءة تتعدى التحديد والتطبيق البسيطين لمعيار الحقيقة لتشمل تحديد معايير الفعالية (المؤهلات التقنية) ... فالمعرفة لا تجعل المرء قادرا على تشكيل وإصدار ألفاظ دلالية **dénotative** جيدة فحسب بل ألفاظ آمرة **prescriptive** وتقييمية **évaluative** جيدة أيضا "(11)

ومنهم أيضا المنظر اللغوي الفرنسي (لوي جان كالفيه) الذي يرى أن اللغات في ظل العولمة ستصبح سلعة، بحيث يزداد الإقبال على اللغة كلما ازدادت فعاليتها في الحياة الاقتصادية، ويذهب في كتابه " سوق اللغات " إلى أن للغات سوقا كسوق العملات تماما، فلغة الدولار (الأنكلو أمريكية) لا تساويها أي لغة في العالم. وقد استوحى (كالفيه) فكرة كتابه " سوق اللغات " من تعامل السينغاليين مع اللغات، حيث لاحظ . وهو في السينغال . أن الإذاعة هناك تقدم للمواطنين خدمات تمكنهم من إشهار سلعهم أو توجيه دعوات للحفلات أو تهاني بالأفراح أو غيرها. و لكن سعر الإعلان يختلف باختلاف اللغة التي يكتب أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يذاع بها؛ فإذا كان الإعلان بلغة إفريقية محلية يدفع صاحبه [20 عشرين فرنكا إفريقيا] وإن كان باللغة الفرنسية يدفع [200 مائتي فرنك إفريقي] [12].

ويذهب في موضع آخر إلى أن بورصة اللغة الإنجليزية . في العالم . في ارتفاع مستمر مقارنة باللغات الأخرى، ويورد لتوضيح ذلك الكيفية التي تطور بها استخدام اللغات الرسمية الكبرى في الجمعية العامة للأمم المتحدة، خلال الفترة الممتدة بين سنتي: 1992 و 1999م فنجدها على النحو التالي: [13]

	1992	1999
الإنكليزية	%45	%50
الفرنسية	%19	%13
الإسبانية	%12	%10
العربية	%10	%9.5

ويتضح من هذا الجدول أن التقهقر لم يصب اللغة العربية دون غيرها وإنما أصاب كل لغات الدرجة الثانية، وإن كان بنسب متفاوتة قليلا لصالح اللغة الإنكليزية، وقد كانت أكبر خسارة هي التي منيت بها اللغة الفرنسية، وأقلها ما منيت به اللغة العربية.

و يدعم ما أورده (كالفيه) عن تقهقر اللغات الأخرى أمام الإنكليزية، ما جاء " في دراسة لبرنامج الأمم المتحدة للبيئة نشرت سنة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2001 [من] أن نصف اللغات المحلية في العالم في طريقها للزوال، وحذرت الدراسة من أن تسعين بالمائة (90%) من اللغات المحلية سوف تختفي في القرن الحادي والعشرين "[14]

ومن المتشائمين بمستقبل اللغة العربية . خاصة . الدكتور علي القاسمي؛ الذي تابع أشغال المؤتمر الرابع الذي عقده مجمع اللغة العربية بدمشق في ديسمبر 2005م، ونقل من خلال ما ألقي فيه من محاضرات بعض ما يؤيد تشاؤمه، حيث يقول: " أجمعت معظم الدراسات على أن اللغة العربية الفصيحة سائرة في منحدر الانحطاط والتردي والعزلة، ما يسوغ النية المبيتة لإلغائها من لائحة اللغات الرسمية الست في منظمة الأمم المتحدة ووكالاتها المتخصصة. فقد أوضح أحد المحاضرين أنه فوجئ ذات يوم، وهو يشارك في مؤتمر عقدته إحدى وكالات الأمم المتحدة بإدراج بند "إلغاء رسمية اللغة العربية في الأمم المتحدة " على جدول الأعمال. وأقر المحاضر بأن الأسباب التي ذكرت لذلك منطقية ومعقولة تماما، وهي: أولا: أن وفود الدول العربية في الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن لا تستخدم اللغة العربية في كلماتها ومداخلاتها، فممثلو دول المشرق العربي يستعملون الإنكليزية، ووفود دول المغرب العربي تستخدم اللغة الفرنسية، فلماذا العربية؟ ثانيا: صعوبة إيجاد مترجمين عرب أكفاء للعمل في الأمم المتحدة، وهذا ناتج، طبعا، عن ندرة معاهد الترجمة في الجامعات العربية، ومن نزارة خبرة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العرب في الترجمة لعدم حاجتهم لها بسبب استخدامهم اللغات الأجنبية في التعليم العالي، فكل ما ترجمه العرب مجتمعين منذ ما يسمى بعصر النهضة في القرن التاسع عشر الميلادي حتى اليوم، لا يساوي ما تترجمه إسبانيا أو اليونان في سنة واحدة فقط..."(15).

وإذا كان لكل واحد من هذه المواقف ما يدعمه من المبررات الموضوعية فإن مبررات التشاؤم بمستقبل اللغة العربية تبدو أكثر إقناعا من غيرها، ومع ذلك فإن للمتفائلين بمستقبلها مبرراتهم أيضا.

ثالثا: مبررات المتفائلين بمستقبل اللغة العربية

يقدم المتفائلون بمستقبل لغات الدرجة الثانية واللغة العربية على وجه الخصوص مجموعة من المبررات التي تدعم موقفهم، منها أن لغات الدرجة الثانية بإمكانها أيضا أن تستفيد من كل منجزات التكنولوجيا للحفاظ على وجودها ولتطوير نفسها، لأن هذه التكنولوجيات وإن كانت في الأصل مبتكرات إنكليزية، إلا أن اللغات الأخرى بإمكانها أن تستفيد منها والواقع العملي المعاش يثبت ذلك. إذ استطاعت معظم اللغات أن تتأقلم مع متطلبات المعلوماتية. وهؤلاء المتفائلون هم، في معظمهم، دعاة التعددية اللغوية والثقافية التي تمثلها دول الاتحاد الأوروبي والتي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أنشأت ما يعرف بـ " الميثاق الأوروبي للغات الجهوية ولغات الأقليات " الذي دخل حيز التطبيق في أول مارس سنة 1998م (16).

وأما المتفائلون بمستقبل اللغة العربية فمبرراتهم كثيرة، منها أن للغة العربية ثراءً تاريخيا يمكنها من تحمل الصدمات ويعطيها القدرة على التجدد، ومنها أيضا أن عدد مستعملي اللغة العربية من العرب والمسلمين كبير جدا مما يعطيها بعدا جغرافيا يجعل انحسارها صعبا جدا، ومنها أن اللغة العربية لغة كل المسلمين؛ الذين لا يستطيعون فهم دينهم ولا يستطيعون تطبيق أحكامه إلا إذا كانوا على دراية باللغة العربية، ولذلك فإن العناية بها ليست مقتصرة على العرب وإنما هي واجب يتحمله كل المسلمين في العالم، ومنها أيضا . وربما كان على رأسها . أن اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه وحفظ لغته، ومن ثم فاللغة العربية محكوم عليها بالبقاء والتطور، ولذلك فإنه لا داعي للقلق على مصيرها. و لكن هل تكفي هذه المبررات للاطمئنان على مستقبل اللغة العربية والخلود إلى الراحة، أم أن الأمر يتطلب عملا وجدًا واجتهادا للتأقلم مع المستجدات و محاولة الاستفادة منها لمواكبة متطلبات العصر؟

رابعا: كيف يمكن ضمان مستقبل اللغة العربية في ظل العولمة؟

قبل أن نشرع في محاولة الإجابة عن هذا السؤال أرى أنه من الضروري ألا نستسلم لإغراء التفاؤل، وألا نبالغ في الاطمئنان إليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدعوى أن للغة العربية ربًّا يحميها، ولكن لا يجوز لنا أيضا أن نستسلم أمام صورة التشاؤم الذي يزرع فينا روح الفشل، ويغرينا بالانهزام قبل خوض المعركة، بل علينا أن نستمد منه روح التحدي الضرورية للمحافظة على وجودنا. ويبقى علينا أن نستفيد من التفاؤل بالقدر الذي يعصمنا من الإصابة بالغرور، وأن نكتفي منه بما يحول بيننا وبين الاستسلام لليأس، ويبقي في نفوسنا من الأمل ما يشجعنا على العمل بهمة ونشاط للاستفادة من تجارب الأمم الأخرى ومما توفره التكنولوجيات المعاصرة لتقوية لغتنا وتزويدها بمستلزمات التطور المستمر.

كيف نستفيد من تجارب الآخرين؟

لعله من المفيد أن نستفيد من التجارب الناجحة للآخرين، خاصة إذا كانت قريبة منا مثل التجربة الفرنسية؛ إذ تعاني اللغة الفرنسية من سطوة اللغة الإنكليزية ما تعانيه بقية لغات الدرجة الثانية، وهذا ملاحظ بوضوح في تصريحات الساسة والأكاديميين الفرنسيين كما هو واضح في التصرفات الفرنسية التي تبدو . في بعض الأحيان . متناقضة مع سياستها الوطنية، لأن الأهم هو أن تسهم في دفع خطر العولمة عن لغتها بشتى الوسائل، ومنها:

أ . الاستفادة من المحيط الأوروبي.

ويتمثل في تشجيع فرنسا لبقية الدول الأوروبية على تقوية لغاتها لمقاومة اكتساح الإنكليزية، حيث كانت وراء صدور (الميثاق الأوروبي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للغات الجهوية أو لغات الأقليات) charte européenne des La langue régionales ou minoritaires) وإن كان يتناقض مع السياسة الوطنية الفرنسية التي لم تكن تشجع على إحياء أو استعمال اللغات الجهوية مثل الباسكية والكورسية والبروطانية....، بل كانت تمنع استعمالها في الدوائر الرسمية لأنها كانت تعتبرها تهديدا للوحدة الوطنية في السابق، ولكنها تراجعت عن هذه الفكرة لغاية تكتيكية حتى تضم إليها أكبر عدد من دول المجموعة الأوروبية لمواجهة اجتياح اللغة الإنكليزية وللحيلولة دون تفردها بالسيطرة على العالم: " وهذا ما حدا بالرئيس الفرنسي شيراك إلى الدعوة لدى افتتاحه منتدى حول تحديات العولمة في مارس 2001 للتصدي لهيمنة اللغة الإنكليزية"[17].

ب . الاستفادة من منظمة الفرانكوفونية.

ولم تكتف فرنسا بمحاولة الاستفادة من المحيط الأوروبي وإنما عمدت إلى ما هو أوسع من ذلك لتوسيع مجال استخدام اللغة الفرنسية فأنشأت منظمة الفرانكوفونية التي تحاول من خلالها إغراء مستعمراتها القديمة بوجوب إعطاء المكانة الأولى للفرنسية، وهي بهذا لا توسع المجال الجغرافي للفرنسية فقط، وإنما تحاول أن تستفيد أيضا من عبقرية أبناء المستعمرات في تطوير هذه اللغة وإثرائها بالمصطلحات الجديدة باستمرار، وهناك فرق بحث في كل المستعمرات تزود القواميس الفرنسية، في كل سنة، بآلاف المصطلحات الجديدة التي ينتجها أبناء المستعمرات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القديمة. ولهذا الغرض اقترحت قمة الفرانكوفونية السابعة المنعقدة في هانوي سنة 1997 إنشاء صندوق لدعم هذا النوع من المشاريع التي تدخل في إطار التعاون شمال جنوب، وقد قدرت ميزانيته . آنذاك . بـ (41) واحد وأربعين مليون فرنك فرنسي. وفي قمة الفرانكوفونية الثامنة بمونكتون أكد الرؤساء على أهمية هذا الصندوق وطالبوا برفع موارده المالية(18).

ج . الحرص على حوسبة اللغة الفرنسية.

وفي مجال الاستفادة من التكنولوجيات الحديثة تبذل فرنسا مجهودات متواصلة لضمان حضور اللغة الفرنسية في كل الأمكنة وخاصة على مستوى البرامج والتجهيزات المعلوماتية، حيث جاء في موقع وثائق الحكومة الفرنسية أنه:" لكي يتطور مجتمع المعلوماتية باللغة الفرنسية، فإنه من الضروري أن تكون لغتنا حاضرة على كل التجهيزات المعلوماتية وبرامج معالجة اللغة وأنظمة المساعدة الترجمية والتصحيح الآلي...إلخ. ولضمان استمرار تغذية اللغة الفرنسية بالمصطلحات المعلوماتية الجديدة فإن برنامج العمل الحكومي من أجل المجتمع المعلوماتي (PAGSI) كلف اللجنة العامة للمصطلحات بإعداد قوائم خاصة بمصطلحات لغة الإنترنت، وهكذا نشرت قائمة المصطلحات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القاعدية في الجريدة الرسمية يوم 16 مارس 1999 م، وهناك قائمة ثانية بصدد الإعداد(19).

ولا يخفى ما في إجراء نشر قائمة هذه المصطلحات في الجريدة الرسمية من حرص الحكومة الفرنسية على إعطاء هذه القضية الهامة ما تستحقه من العناية والجدية اللائقة بما يجب أن تحظى به اللغة من مكانة عالية.

كيف تستفيد اللغة العربية من إمكانات العولمة؟

لاشك أن اللغة العربية بإمكانها أن تتطور وأن تحتل مكانة أكبر وأحسن مما هي عليه الآن، لو أحسن أبناؤها الاستفادة من البعد الإسلامي ومما توفره العولمة من إمكانات لانتشارها وتعزيز مكانتها، ويمكن أن نوجز أهم الإمكانات والإجراءات التي تمكن العربية من النهوض بقوة فيما يلي:

أ . الاستفادة من دعم العالم الإسلامي

اللغة العربية، كما هو معروف، لغة العرب ولكنها لغة المسلمين أيضا؛ فهي لغة القرآن الكريم، وهي وسيلة المسلمين لفهم دينهم، ومن هذه الناحية يمكن أن تستفيد من دعم منظمة المؤتمر الإسلامي بطرق مختلفة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1) عن طريق الإسهام في نشرها وتوسيع مجال استخدامها بين المسلمين، لأن اللغة كما يقول (كالفيه) كلما كانت معروفة أكثر كلما اكتسبت قيمة أكبر، ويقارن الاقتصاديون هذه الظاهرة اللغوية بشبكة الهاتف وشبكة البريد الإليكتروني التي تزداد أهميتها كلما ارتفع عدد مستعمليها أو المشتركين فيها.وكذلك اللغة [20]، فإننا لو افترضنا وجود لغة قوية وقادرة على مسايرة التطورات التكنولوجية، كاللغة "البروطانية" أو "الكورسية" أو "الكاتالانية" فإننا لا نستطيع أن نتصورها وهي تحتل مكانة مرموقة في سوق اللغات، لسبب بسيط، وهو أن عدد مستعمليها قليل جدا ولا يشجع على الاستثمار لإنتاج أو تطوير ما يخص تلك اللغة من تقنيات وبرمجيات جديدة، لأن عدد المشتركين فيها أو مستهلكيها (بلغة الاقتصاد) محدود للغاية، ولكن اللغة العربية ليست كذلك.

2) الاستفادة من عبقرية أبناء الأمة الإسلامية من غير العرب وهم، في الغالب، مستعدون لخدمة اللغة العربية تطوعا . وقد أثبت التاريخ أن عددا كبيرا ممن خدموا العربية في السابق كانوا من غير العرب . وانطلاقا من أوطانهم التي تمتد من شرق المعمورة إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها يستطيعون، إن وجدوا من ينبههم ويرشدهم، أن يزودوا اللغة العربية في كل سنة بآلاف المصطلحات الجديدة التي تمكنها من مسايرة التطور واكتساب القوة والمنعة التي تمكنها من

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الاستمرار في أداء دورها في خدمة القرآن الكريم، والإسهام في مسار الحضارة الإنسانية بوجه عام.

ب . استغلال العرب لإمكاناتهم الذاتية

وإذا كان بإمكان المسلمين من غير العرب أن يسهموا في خدمة اللغة العربية والحفاظ على مكانتها تحت سماء العولمة، فإن العبء الأكبر يجب أن يقع على عاتق أبنائها.

1) فمن واجبهم . كما يقول الأستاذ العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد .: أن يشعروا أبناءهم بأهمية لغتهم، و أن يُنَمُّوا لديهم الإحساس بجماليتها، حتى لا ينفروا من تعلمها إلى تعلم غيرها من اللغات الأجنبية، وإنما يتعلمونها أولا ثم يتعلمون ما يتعلمونه من لغات أخرى، ليجعلوه في خدمتها وتطويرها وإعلاء شأنها لتظل قوية مفيدة وجميلة ممتعة[21] . وعليهم أيضا أن يحرصوا على استخدامها في كل المناسبات، وخاصة في المحافل الدولية، لأن الاستخدام الدولي للغة يضفي عليها هيبة ويزيد من ثقة أبنائها ومستعمليها في كفاءتها وفعاليتها.

2) على العرب أن يستفيدوا من الترجمة لتقوية مكانة لغتهم، إذ ليس من المعقول . كما رأينا . أن يترجم إلى اللغة الإسبانية أو اللغة اليونانية، في سنة واحدة أكثر مما ترجم إلى اللغة العربية على امتداد قرنين كاملين، فللترجمة دورها الهام لدى كل الأمم المتحضرة أو الطامحة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

للحاق بركب الحضارة، لأن الترجمة ليست وسيلة للاطلاع على ما لدى الآخرين من مستجدات فقط، وإنما هي وسيلة هامة في تقوية اللغة ودعم مكانتها لدى أبنائها قبل غيرهم؛ فالطالب والأستاذ الذي يبحث عن معلومة ما في لغته ولا يجدها يضطر إلى البحث عنها في اللغات الأخرى، وإذا تكررت هذه العملية وتكررت معها الخيبة في العثور على المعلومة فإنه قد ينتج عنها الزهد في التعامل مع اللغة حتى من قبل أبنائها الذين يعزفون عنها ويلجئون إلى اللغات الأخرى، وبذلك تتكمش اللغة وتترك مجال نشاطها وحيويتها للغات أخرى.

ولهذا فإن موضوع الترجمة لا يجب أن يترك لأهواء الأفراد واجتهاداتهم الشخصية، بحيث ننتظر حتى يقرأ أحد المتفتحين كتابا أو بحثا ما ثم يعجب به ويقرر الشروع في ترجمته بوسائله وإمكاناته الخاصة، لأن مثل هذا الجهد . على أهميته وضرورته . لا يمكن أن يغني عن العمل الحضاري المهيكل الذي يجب أن تضطلع به الهيئات والمؤسسات؛ التي يقع عبء إنشائها على عاتق الدول العربية وعلى عاتق الجامعة العربية التي يجب عليها أن تنشئ جامعات ومعاهد متخصصة في الترجمة لتخريج المتخصصين أولا، ثم تنشئ مؤسسات دائمة للترجمة تتابع كل ما يصدر في العالم، وخاصة ما ينتج في اللغات الكبرى من علوم ومعارف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا شك أن الإمكانات المالية للدول العربية تسمح بإنشاء مثل هذه المؤسسات الدائمة؛ التي يجب أن تظل مستقلة في عملها عن الأهواء السياسية المتقلبة للدول العربية، بحيث لا يتأثر نشاطها بنوعية العلاقات الدبلوماسية بين الدول.

3) على العرب أن يستفيدوا من التكنولوجيات والوسائط الجديدة لخدمة لغتهم وتعزيز مكانتها في العالم، لأن هذه التكنولوجيات بقدر ما أثارت من المخاوف بأنها ستكون حكرا على اللغة الإنكليزية التي سيطرت بالفعل في أول الأمر على مساحات المعلوماتية وعلى تكنولوجيات الاتصالات اللغوية، إلا أن الملاحظة . كما يقول لوي كالفيه .: " ترينا أن الأمور لم تسر تماما على النحو الذي رسمته تلك التخوفات المسبقة، صحيح أن اللغة الإنكليزية كانت أول لغة لـ(الواب) **(Web)** لكن استعمالها تناقص ببطء، لأن اللغات المركزية وبعض اللغات "الصغيرة" وجدت مكانها على الإنترنت وقللت من حصة الإنكليزية؛ التي نزلت إلى ما دون 50% بينما كانت تستحوذ على كل شيء قبل عشرة أعوام"[22].

كيف نستفيد من الفضائيات ومن الشبكة العنكبوتية؟

مما لاشك فيه أن هاتين الوسيلتين تعدان من أحدث وسائل الاتصالات ومن أشدها تأثيرا في عصرنا الحاضر، إذ بواسطتهما نستطيع أن نتعرف بسرعة كبيرة على كل ما يجري في العالم، ونستطيع

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن ننتقي منه ما يتناسب وخصوصية ثقافتنا، وقد تفطنت معظم الأمم إلى قيمة الفضائيات، وحاولت، وتحاول الاستفادة منها في التعريف بثقافتها لدى الأمم الأخرى، وفي المحافظة على صلتها بالمهاجرين من أبنائها مهما كان موقعهم في العالم، كما تحاول من خلالها أن ترفع من عدد المتفهمين والمستخدمين للغتها في العالم، لأن اللغة . كما يقول كالفيه . تزداد قيمتها كلما توسعت مساحة استخدامها وزاد عدد مستعمليها، والعرب عليهم أن يستغلوا هذه الوسيلة المعاصرة بكيفية تخدم ثقافتهم وتساعد على انتشار لغتهم وصورتهم بشكل إيجابي بين الأمم، لأنهم بذلك يسهمون في التقليل من تكريس أحادية اللغة، ويساعدون على استمرار المثاقفة الإيجابية بين الأمم.

وإذا كانت الأمم الغربية، والأنكلو أمريكية بالذات، هي التي اخترعت الإنترنت، وهي التي استفادت منها قبل غيرها، ومن خلالها أعادت تصدير لغتها وثقافتها لمختلف شعوب العالم، بحيث نجد الآن جميع الأمم، الناطقة بغير الإنكليزية، تكتب كل معلوماتها وتعلن عن وجودها في مناطق التماس مع الآخرين بلغتها المحلية مرفوقة باللغة الإنكليزية . كما هو واضح في جوازات السفر وفي كل إعلانات الطائرات والمطارات، وفي لغة البواخر والموانئ... . فقد استطاعت الأمم الغربية المشتركة مع اللغة الإنكليزية في الأبجدية أن تنخرط في منظومة الإنترنت . وإن واجهت بعض الصعوبات في البداية . في وقت مبكر،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن اللغة العربية تأخرت عن ذلك بوقت كبير نسبيا، وهي لا تزال متأخرة بشكل ملحوظ في مجال الترجمة "لاسيما "الترجمة الآلية" في شبكات الإنترنت، حيث إن حضورها محتشم إن لم نقل شبه غائب"[23].

وللتغلب على هذه الصعوبة، يصبح من واجب المشرفين على الثقافة واللغة العربية أن يجتهدوا في تمويل الأبحاث التي تمكن اللغة العربية من اقتحام هذا الميدان الحيوي الذي يضمن للغتنا تبادلا متوازنا ومثاقفة إيجابية، وهذا الأمر ليس هينا وليس مما يجب تركه لاجتهادات الأفراد، وإن كانت ضرورية، وإنما هو أمر جليل يجب أن تتكفل به الدول العربية مجتمعة. وتزداد أهمية هذه المسألة إذا تأملنا بعناية ما يقوله كالفيه من أنه: " قد رصدت اعتمادات مهمة للقيام بأبحاث، على ما يبدو، هزيلة للسماح لـ (التيلدة) الإسبانية أو لـ(النبرات) الفرنسية بأخذ مكانها في المعلوماتية ومعالجة النصوص"[24]. « ... au tilde de l'espagnol ou aux accents du français. »

وإذا كانت الإسبانية والفرنسية، وهما قريبتان من الإنكليزية وتشتركان معها في الأبجدية، قد احتاجتا إلى مبالغ كبيرة وأبحاث، على ضآلتها، طويلة لإدخال بعض خصوصيتهما في لغة المعلوماتية الجديدة، فلا شك أن ما تحتاجه اللغة العربية . وهي الأبعد عن اللغة الإنكليزية . سيكون أكبر من ذلك بكثير، ولكن المسألة مسألة وجود

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتتطلب الكثير من الجهود والتضحيات؛ التي يتوقف عليها مصيرنا ومصير لغتنا وهويتنا، وعلينا أن نختار بين أن نكون أو لا نكون.

وحينما نقول الكثير من التضحيات فإننا لا نعني بذلك تلك التضحيات المنبثقة من الشهامة والنخوة العربية التي تحكمها الظروف الآنية ويدفعها المزاج العربي المتقلب، لأن مثل هذه التضحيات قلما تكون دائمة وقلما يكتب لمشاريعها النجاح، وإنما نقصد بالتضحيات تلك الجهود الإستراتيجية المبنية على مخططات مرحلية مدروسة تنجزها هيئات مستقلة عن الحكومات؛ التي يجب أن يقتصر دورها على توفير الدعم المالي الضروري لإنجاز الأبحاث الكفيلة بتطوير اللغة العربية وتمكينها من التواجد (الحضور) في كل ما يطرأ من مستجدات في ميدان المعلوماتية، وهذا ما تفعله معظم الأمم المتحضرة للمحافظة على مكانتها في مجالات المعلوماتية والوسائط الحديثة، كما رأينا في التجربة الفرنسية، وباستطاعة الساهرين على تطوير اللغة العربية أن يستفيدوا من هذه التجربة ومن كل التجارب التي أثبتت نجاعتها في تطوير أي لغة من لغات الدرجة الثانية.

وعلى الرغم مما تبذله مجامع اللغة العربية في عدد من الأقطار كمصر وسوريا وغيرهما لتزويد اللغة العربية بما يستجد من مصطلحات في مختلف الميادين العلمية إلا أن مردودية عملها تظل جزئية وضئيلة إذا ما قورنت بسرعة تطور الحياة والعلوم في عصرنا، ولعل السبب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الرئيس في ذلك يرجع إلى أن جهود تلك المجامع تبقى . في معظم الأحيان . مشتتة تفتقر إلى التنسيق الضروري لإضفاء الفعالية على مثل هذه المشاريع الهامة.

وقد يكون من المفيد في هذه الحالة أن تنشأ على مستوى الجامعة العربية مجموعة من الأكاديميات المتخصصة لمتابعة ما يستجد في العالم على مختلف مستويات المعرفة، ولتزويد الهيئات الرسمية ومراكز الأبحاث بالقواميس الضرورية لإنجاز أبحاثها باللغة العربية، ويمكن أن يبدأ هذا المشروع بالاستفادة مما تزخر به أقطار الأمة العربية من عبقريات في مختلف ميادين العلوم والفنون، مع مراعاة ما يمكن أن تسهم به كل جهة، بحيث تكلف بما هي أكثر قدرة على الإفادة فيه، ويتوقع أن يكون مردودها فيه أجدى وأنفع، ويمكن أن يشرع في تنفيذ هذه الفكرة بإنشاء ثلاث أكاديميات . على الأقل . بحيث تكون إحداها بمنطقة المشرق العربي، وتكون مهمتها متابعة ما يستجد من تجارب وما يستحدث من ابتكارات في إطار اللغة الإنكليزية واللغات الآسيوية التي أثبتت كفاءتها في ميادين العلوم والتكنولوجيات الحديثة؛ كاللغة اليابانية والكورية...

ولكي تتم الاستفادة من كل إمكانات الأمة في المشرق والمغرب يجب أن تكون الأكاديمية الثانية في منطقة المغرب العربي، وتكلف بمتابعة ما يمكن أن يستجد من مبتكرات في إطار المنظومة الفرانكوفونية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واللغات القريبة منها كالإيطالية والإسبانية...، على أن تكون على رأس هاتين الأكاديميتين الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيات التي تسهر على التنسيق بين المشاريع والمقارنة بين ما تنتجه الأكاديميتان الجهويتان، في مختلف مجالات المعرفة، للخروج بمصطلحات موحدة يتم اعتمادها ونشرها في الجريدة الرسمية العربية لتستفيد منها مختلف المراكز البحثية، ولا شك أن مثل هذا المشروع سيوفر الكثير من الوقت والجهد والأموال أيضا، لأنه سيعمل على توحيد جهود الأمة ويمكن من الاستفادة منها بشكل أكثر فعالية مما لو ترك الأمر للجهود المشتتة التي يمكن أن يكرر بعضها بعضا، ويمكن أن يهدر فيها من الأموال والوقت أكثر مما تتطلبه تلك الأكاديميات القومية الجامعة.

المراجع والهوامش

(1) ينظر: غليون ، برهان. و أمين، سمير. ثقافة العولمة وعولمة الثقافة. ط1. بيروت: دار الفكر المعاصر، 1999م. ص ص 12 . 55.

(2) بن سلامة، الربعي. " اللغات القومية والعولمة " مجلة الآداب. ع7. 2004م. ص 9.

(3) ينظر: بن نبي، مالك. حديث في البناء الجديد. صيدا . بيروت: المكتبة العصرية، ص ص 145 . 147.

(4) ابن بطوطة. رحلة ابن بطوطة. ط2. بيروت . دمشق: الرسالة، 1981م. ج2 ص ص 714، 715.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(5) بالنثيا، آنخل غونثالث. تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة: حسين مؤنس. ط1. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، 1955م. ص ص 485، 486.

(6) ينظر: أرسلان، شكيب. الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية. بيروت: دارمكتبة الحياة، ج1 ص ص 391، 392.

(7) هونكه، زغريد. شمس العرب تسطع على الغرب. ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي. ط6. بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1981م.

(8) ساروب، مادان دليل تمهيدي إلى ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة. ترجمة خميسي بوغرارة. ط1. مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة منتوري . قسنطينة: 2003م. ص 155.

(9) م ن. ص ن.

(10) نفسه. ص 152.

(11) نفسه. ص ص 156، 157.

(12) CALVET, Jean-louis. Le marché aux langues. Ed : plon,2002. p 8

(13) Ibid. p 171

(14) عمراني، المصطفى. " الترجمة والمثاقفة ". www.diwanalarab.com/spip.php? Article6821

(15) القاسمي، علي. " اللغة العربية لم تعد لغة عالمية" www.arabicwata.org/Arabic/the_WATA_Library/the_association_word/article/2005December/article2.html

(16) Conférence internationale sur la charte européenne des langues régionales ou minoritaires. Ed : du conseil de L'Europe, 1998. pp 5_7

(17) عمراني، المصطفى. الموقع نفسه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(18) Le français et le plurilinguisme dans la société de l'information. www.culture.gouv.fr/culture/dglf/

(19) Ibid

(20) Calvet. Ibid. p 171

(21) من مقابلة له بثتها قناة الجزيرة مساء يوم 2004/04/28.

(22) Calvet. Ibid. p 171,172

(23) عمراني، المصطفى. المرجع نفسه.

(24) Calvet. Ibid. p 171

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com